

298905 – تفسير قوله تعالى: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض).

السؤال

يقول الله في سورة الشورى : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) هل معنى هذا أن كل الأغنياء يبغون في الأرض؟ ولو كان كذلك فما معنى البغي؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

إن المؤمن يعيش حياته شاكرًا في السراء، صابراً على الضراء، والمؤمن قد يبغى الله تعالى بالغنى ليشكر، وقد يبغى الله بالفقر ليصبر . فليس في الغنى مدح مطلق، ولا في الفقر كذلك .

وقد أخبر الله تعالى أنه ينزل الرزق على حسب مصالح العباد، فقال: **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** الشورى/27، معناه: لو جاء الرزق على اختيار البشر، واقتراحهم : لكان سبب بغيتهم ، وإفسادهم، ولكنه تعالى أعلم بالمصلحة في كل أحد، وله في عبده ، وأحوالهم : علم ، وخبرة ، وبصر بأخلاقهم ومصالحهم، فهو ينزل لهم من الرزق القدر الذي به صلاحهم، فرب إنسان لا يصلحه إلا الفقر، وآخر لا يصلحه إلا الغنى، وهكذا .

انظر : " تفسير ابن عطية" (5 /36).

يقول الإمام ابن كثير: " وقوله: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض** أي: لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق، لحملهم ذلك على البغي والطغيان ، من بعضهم على بعض، أشرا وبطرا.

وقال قتادة: كان يقال: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك

وقوله: **ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير** أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره، مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك ، فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر" انتهى من "تفسير ابن كثير" (7 /206).

فهو سبحانه ما أعطى إلا بحكمته، ولا منع إلا بحكمته.

وقوله تعالى: **خبير بصير**، أي: يعلم ما تؤول إليه أحوالهم، فيقدر لهم ما هو أصلح لهم ، وأقرب إلى جمع شملهم، فيفقر ويغني،

ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط، كما توجهه الحكمة الربانية، ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا.

انظر: "فتوح الغيب" للطبيبي (14 / 59).

ثانياً:

البغي مجاوزة الحد، وهو إما أن يكون تضييعاً للحق، وإما أن يكون تعدياً للحد؛ فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرم .

انظر: "مجموع الفتاوى" (1 / 14).

فبعض الناس لو وسع الله عليهم لجازوا الحد الذي حده الله عز وجل لهم، ولذا فيكون الفقر خيراً لهم، وهناك من إذا وسع الله عليه عرف حق الله عليه؛ فالتوسعة خير له .

قال ابن عاشور رحمه الله :

" وموقع معناها : موقع الاستدراك والاحتراس ؛ فإنها تشير إلى جواب عن سؤال مقدر في نفس السامع ، إذا سمع أن الله يستجيب للذين آمنوا ، وأنه يزيدهم من فضله ، أن يتساءل في نفسه: أن مما يسأل المؤمنون : سعة الرزق والبسطة فيه ؛ فقد كان المؤمنون أيام صدر الإسلام في حاجة وضيق رزق ، إذ منعهم المشركون أرزاقهم وقاطعوا معاملتهم ؟

فيجاب : بأن الله لو بسط الرزق للناس كلهم ، لكان بسطه مفسداً لهم ، لأن الذي يستغني يتطرقه نسيان الالتجاء إلى الله، ويحمله على الاعتداء على الناس .

فكان من خير المؤمنين الآجل لهم أن لا يبسط لهم في الرزق، وكان ذلك منوطاً بحكمة أرادها الله من تدبير هذا العالم ، تطرد في الناس مؤمنهم وكافرهم ، قال تعالى: (إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) [العلق: 6، 7] .

وقد كان في ذلك للمؤمن فائدة أخرى، وهي أن لا يشغله غناه عن العمل الذي به يفوز في الآخرة؛ فلا تشغله أمواله عنه . وهذا الاعتبار هو الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال للأتصار لما تعرضوا له بعد صلاة الصبح ، وقد جاءه مال من البحرين : (فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) ...

والبغي: العدوان والظلم، أي لبغي بعضهم على بعض ؛ لأن الغنى مظنة البطر والأشر، إذا صادف نفساً خبيثة ...

ومعنى الآية: لو جعل الله جميع الناس في بسطة من الرزق، لاختل نظام حياتهم ، ببغي بعضهم على بعض ؛ لأن بعضهم الأغنياء تحدته نفسه بالبغي ، لتوفر أسباب العدوان ، كما علمت ، فيجد من المبغي عليه المقاومة ، وهكذا، وذلك مفض إلى

اختلال نظامهم.

وبهذا تعلم أن بسط الرزق لبعض العباد ، كما هو مشاهد : لا يفضي إلى مثل هذا الفساد ؛ لأن الغنى قد يصادف نفسا سالحة ، ونفسا لها وازع من الدين ؛ فلا يكون سببا للبغي .

فإن صادف نفسا خبيثة ، لا وازع لها : فتلك حالة نادرة ، هي من جملة الأحوال السيئة في العالم ، ولها ما يقاومها في الشريعة ، وفصل القضاء ، وغيره الجماعة ؛ فلا يفضي إلى فساد عام ، ولا إلى اختلال نظام. " انتهى مختصرا من "التحرير والتنوير" (92-25/92) .

والله أعلم